24

المذهب النسطوري وأنتشاره بين العرب قبل الإسلام

م.م. لهيب محمد محمود جاسم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

يعد البحث في المذهب النسطوري وانتشاره بين العرب قبل الإسلام من الموضوعات المهمة كونه يبحث في تاريخ نشأة هذا المذهب ومؤسسه والأفكار اللاهوتية التي جاء بها والتي كانت تعد خارجة على ما هو متعارف عليه عند المسيحيين وكذلك يتطرق البحث إلى انتشار هذا المذهب بين المسيحين بشكل خاص وغيرهم من الأمم ومنهم العرب بشكل عام.

تحدثنا في المبحث الأول عن نسطوريوس وآرائه الدينية، أما المبحث الثاني فكان بعنوان مواجهة آراء نسطوريوس وانتشار مذهبه بين العرب.

نهدف من خلال هذا البحث الوقوف على حقبة زمنية من تاريخ الديانة المسيحية، والتي تمثل فترة وضع أسس وقواعد العقائد اللاهوتية التي قامت عليها الديانة المسيحية ودور مجمع أفسس الأول المنعقد سنة (431م)، في مواجهة آراء نسطوريوس الدينية.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع منها منسي القمص في كتابه (تاريخ الكنيسة القبطية)، وأثناسيوس المقاري في كتابه (قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية)، وأيضاً جواد علي في كتابة (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام).

المبحث الأول

نسطوريوس وآرائه الدينية

أولاً: نسطوريوس:

ولد الراهب نسطور في مدينة (جيرمانيقيا) وهي الآن مدينة مرعش في سوريا[1]، درس نسطوريوس اليونانية ومبادئ العلوم في مدينة مرعش وكانت أسرته تعده ليكون أحد الرهبان المرسومين ولما بلغ السن الذي يسمح له بالانفصال عن اسرته غادر مرعش إلى انطاكيا لتلقي العلوم الكنسية على يد جملة من الأساتذة اللاهوتيين واشهرهم ثيودور الطرسوسي[2]، الذي تشرب تعاليمه منه[3]، وبعد أن أتم دراسته اختير في كاتدرائية انطاكيا شماساً حيث أشتهر بمواعظه القوية وصوته الرخيم[4].

شغل نسطوريوس مناصب إدارية ودينية عديدة وتدرج فيها حتى اختير بطريركاً لكنيسة القسطنطينية سنة (428م) وكان يقود الدير بكل ما يلزمه من النواحي المالية والإدارية والدينية إلى جانب الوظائف الاجتماعية[5].

أظهر نسطوريوس حماساً كبيراً لمواجهة الهرطقات حتى انه خاطب الامبراطور ثيودوسيوس قائلاً: "أعطني أيها الامبراطور الأرض نقية من الهراطقة وانا سوف اعطيك السماء ساعدني لأشن حرباً ضد الهراطقة وانا سوف اساعدك في حربك ضد الفرس"[6].

ثانياً: آرائه الدينية:

إن المعتقد السائد لدى اغلب المسيحين ان يسوع (عيسى) هو آله وبذلك فهو شخص واحد يحمل سمتين لاهوتية وأخرى ناسوتية وباتحادهما تكون الطبيعة الواحدة وكانت هذه المعتقدات مقبولة لدى المسيحيين فهي عقديتهم الدينية[7].

وبما أن هذه كانت السمة الرئيسية للفكر اللاهوتي المسيحي فأن المجيء بآراء جديدة مغايرة أو مخالفة لما هو شائع في المجتمع الكنسي يشكل صدمة لاهوتية وعقائدية كبيرة.

أوجد نسطوريوس تعاليم جديدة حيث أنه رفض طبيعة المسح الواحدة واعتبر أن المسيح شخصين وعلّم الناس بالأثنية (إبن الله وإبن مريم) حيث قال: "أنني أفصل بين اللاهوت والناسوت بعد الاتحاد" وبالتالي فإنه ينكر تلقيب السيدة مريم بلقب (والدة الآله)[8].

فهو يرى أنه لما كان الجزء اللاهوتي من طبيعة المسيح لم يولد من مريم العذراء فلا يحق أن تسمى السيدة مريم (أم الله) بل (والدة المسيح الإنسان)، إذ إنه يجد أن الجزء اللاهوتي لم يتحد بالجزء الناسوتي بل ساعده فقط فكان يقول: "إن مريم لم تلد إلهاً بل ما يولد من الجسد ليس إلا الجسد وما يولد من الروح فهو الروح إن الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت إنساناً آلة للاهوت"[9].

ويؤمن نسطوريوس بأن المسيح ليس سوى إنسان قام فيه كلمة الله وبالتالي فهو ليس إنساناً إلهاً بل فقط حامل الله وكان نسطور يميز في المسيح شخصين أحدهما

ألهي وآخر بشري وهو ما اصطلح على تسميته ثنائي الطبيعة[10]، وكان يتذرع بالنص القائل: "الأب وأنا واحد"[11].

المبحث الثاني

مواجهة آراء نسطوريوس وانتشار مذهبه بين العرب

أولاً: مواجهة آراء نسطور "مجمع أفسس 431م"

مع إنتشار تعاليم نسطوريوس حول السيد المسيح حدثت مقاومة في مدينة القسطنطينية من جانب الشعب والأكليروس بالإضافة إلى صدور عدة منشورات ترفض هذه التعاليم وتدافع عن طبيعة المسيح الواحدة[12].

كان بابا الإسكندرية في هذا الوقت هو القديس كيرلس الاسكندري الملقب بـ "عمود الدين"، قام بالتصدي لآراء نسطوريوس واسرع بكتابة رسالة في عيد الفصح موجهة إلى جميع الأساقفة فنّد فيها مزاعم نسطوريوس[13].

عندما لم يستجب نسطور إلى رسائل البابا كيرلس التي تحضه بالعودة عن آراءه بل أن نسطور تمسك بها ودافع عنها الأمر الذي أدى إلى حدوث خلاف كبير بين رجال الدين المسيحي قرروا على أثره عقد مجمع للنظر في تعاليم نسطوريوس[14].

كان نسطور يتمتع بنفوذ كبير لدى الامبراطور البيزنطي (ثيودوسيوس 416 – 345م)، وأثارت آراءه عاصفة من الاضطرابات وذلك لأن القضية العقائدية قضية كبيرة وخطيرة جداً كما إن هذه الآراء صدرت عن شخص يتمتع بمكانه رفيعة[15]،

الأمر الذي دفع الامبراطور إلى إصدار أمر بعقد مجمع مسكوني في مدينة أفسس (غرب آسيا الصغرى).

حضر هذا المجمع مائتي اسقف وترأس جلساته بابا الإسكندرية (كيرلس) ومعه خمسون اسقفاً عن مصر وأرسل الإمبراطور مندوباً عنه لحضور جلسات المجمع وهو الكونت (كانديديان) ضابط الحرس الامبراطوري وأرسل معه مرسوم ابدى فيه عدم التحيز لأي طرف فيما يتعلق بقضايا الايمان والعقيدة[16].

بدأت أولى جلسات المجمع في عيد العنصرة 7 يونيو/ حزيران عام (431م)، وطبقاً لأوامر الامبراطور فإن كل من يصل متأخر يكون مسؤولاً مسؤولية كبيرة أمام الله وأمام الامبراطور [17].

كان نسطوريوس وأساقفته الستة عشر من أوائل الذين وصلوا لمدينة أفسس وعقد المجمع في كاتدرائية (والدة الآله) بمدينة أفسس وبعد استدعاء القس نسطور ثلاث مرات رفض الحضور عندها قام الأساقفة بقراءة كتابات آباء الكنيسة عن اتحاد اللاهوت والناسوت في المسيح وكذلك تمت قراءة عشرين فقرة من كتابات نسطوريوس التي تحتوي على آراءه الدينية عندها صرخ جميع الحضور قائلين: "إذا لم يحرم أي شخص نسطور فليكن هو محروماً"[18].

وأقر آباء المجمع بطبيعتين وبوجه واحد واقنوم واحد للمسيح ولعنوا نسطوريوس وحرموه وتم تجريده من رئاسة كرسي كنيسة القسطنطينية، ونفي إلى مصر وأقام فيها سبع سنين حتى مات فيها ودفن هناك[19].

ثانياً: إنتشار المذهب النسطوري بين العرب

انتشرت الديانة المسيحية بين العرب منذ القرون الأولى ألا أنها تفاوتت في كثافة الانتشار بين منطقة وأخرى إذ إن هناك قبائل دخل غالبية أعضائها المسيحية وأخرى اقتصر التنصّر فيها على عدد محدود من الافراد فضلاً عن الموقع الجغرافي، فإن المناطق القريبة والمتاخمة لحدود الإمبراطورية البيزنطية تنصّر أفرادها بأعداد كبيرة بينما نجد المناطق الداخلية من بلاد العرب تركزت المسيحية بين افراد محدودين.

لم يقتصر انتشار المسيحية بين العرب على مذهب واحد فكل منطقة نشط فيها دعاة مذهب معين وعملوا على كسب الناس لمذهبهم اما بالنسبة للمذهب النسطوري فإنه لم يمت بموت مؤسسه (نسطوريوس) إذ استمر اتباعه ملتزمين بأفكاره وعملوا على نشرها في المناطق التي هربوا إليها من الاضطهاد وتبشير الناس بأفكارهم ومن اشهر الذين عملوا على احياء تعاليم نسطور هو الراهب (ابن صرما) مطران نصيبين.

لقد اعتمد المسيحيون مبدأ التبشير أول الأمر لنشر مبادئهم بين الناس ولم يقتصر إنتشار المسيحية على أطراف شبه الجزيرة العربية القريبة من حدود الإمبراطورية البيزنطية بل وصلت إلى مناطق بعيدة اذ تنصر بعض الافراد في مكة والطائف ويثرب وهؤلاء يعرفون بـ(الأحناف) [20].

حمل الرسل التلاميذ لواء التبشير مستندين لتعاليم السيد المسيح "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم"[21]، وبدأت دعوتهم تنتشر في بلاد العرب حتى أن بعض القبائل فضلتها على ما عندهم من اصنام وكان تنوخ بن مالك أول ملوك العرب من قضاعة دخل دين النصرانية[22]، ثم تنصرت غسان وكانت على المذهب المينوفيزي[23].

يقوم التبشير على المحاورة والاقناع ولابد أن يكون بما يتناسب مع عادات وتقاليد الأقوام الذين يتعاملون معهم فكان اعيان القبيلة يحاورون المبشرين ويتناقشون معهم إلى أن تحصل القناعة التامة فكان من بين القبائل المتنصرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام[24].

كان لعرب الشام أساقفة اشتركوا في مجمع نيقية المسكوني المنعقدته (325م)، الأمر الذي يؤكد انتشار المسيحية واستقرارها في بلاد العرب منذ القرون الأولى واستمر هذا الأمر خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين كما اشترك اساقفتهم في مجمع خلقدنية سنة (451م)، وهذا يدل على كثرة العرب المتنصرين وكثرة الدير والكنائس حتى اصبح لهم أساقفة يمثلونهم في مجامع كبيرة كهذه[25].

ويعتقد أن المذهب النسطوري دخل إلى شبه الجزيرة العربية على يد أولئك المسيحين من النساطرة المضطهدين الهاربين من بطش الملك الفارسي شابور الثاني (310 – 379م)، فلجأوا إلى الأقاليم المجاورة لجنوب العراق واختلاطهم بسكان تلك المناطق الأمر الذي أدى لنشر مبادئهم وآراءهم بين عرب تلك المناطق[26].

يختلف المؤرخون حول التاريخ المحدد لدخول النصرانية إلى مملكة الحيرة فبعضهم يرجعه إلى أواسط القرن الرابع الميلادي والبعض الآخر يجعله في القرن الخامس الميلادي والغالب إن إنتشار النصرانية بين عرب الحيرة كان في القرن الخامس الميلادي؛ لأنه القرن الذي ظهر يه المذهب النسطوري، وبدأ إنتشاره في العراق بعد هجرته من سوريا واعتباره مذهباً هرطوقياً (أي خارج عن تعاليم الكنيسة)[27].

بذلت الكنيسة النسطورية نشاطاً كبيراً فأرسلت العديد من الارساليات التبشيرية إلى مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية منها (هجر، حضرموت، نجران، وغيرها من مناطق جنوب بلاد العرب)، وقامت ببناء الأديرة كما خرّجت مدينة الحيرة عدد من رجال الدين المسيحيين على المذهب النسطوري مثل (مار ايليا) والقديس (حنانيشوع) والقديس (مار يوحنا)، وغيرهم العديد[28].

ألا إنه من الجدير بالذكر إن المسيحية لم تترسخ جذورها بين عرب الشمال فنجد إن كثير من ملوك المناذرة يعودون إلى الوثنية بعد تنصرهم وكذلك الحال بالنسبة لقبيلة غسان في بلاد الشام ويرجع السبب إلى إن مبادئ المسيحية وما انطوت عليه من

حب للسلام لا يتلائم مع طبيعة البدو كما إن الاباطرة البيزنطيين لم يسعوا بجدية لنشر مبادئها والتبشير بها فاقتصر الأمر على جهد رجال الدين وبعض الارساليات التي أرسلها الاباطرة والتي كان الغرض الأساسي منها جلب منافع تجارية واقتصادية للدولة بالإضافة إلى الخلاف الكبير والانقسامات التي حدثت داخل الديانة المسيحية وتعدد الطوائف والفرق والمذاهب زاد من حدة العداء والانقسام بينهم فاصبح كل مذهب يصل لسدة الحكم يضطهد ويقتل وينكل بالمذاهب والطوائف المخالفة له ولا ننسى مقاومة اليهود الخفية للمسيحية كل هذا العوامل أوقفت او أعاقت تقدم المسيحية وجعلت العرب يؤثرون الوثنية عليها[29].

المستخلص

نستخلص من هذا البحث جملة من النتائج:

1-انتشرت المسيحية بين العرب منذ القرون الأولى لظهورها وقد تفاوتت كثافة انتشارها من منطقة لأخرى بحسب الموقع الجغرافي.

2-كان المذهب النسطوري من أوائل المذاهب التي انتشرت وأنتعشت في بلاد العرب لاسيما الحيرة.

3-مثلت بلاد العرب الملاذ الآمن للمسيحيين الهاربين من الاضطهاد في الدولة البيزنطية والساسانية.

قائمة المصادر

- القرآن الكريم

1. إبن القيم، شمس الدين محمد ابي بكر (ت751هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تح: أحمد حجازي السقا، ط1، القاهرة، (المكتبة القيمية، 1398م)، ص267، القمص، منسي، تاريخ الكنيسة القبطية.
2. استفانس، الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة، د.ط، د.م، (مطبعة القبر المقدس البطريركية، 1867م).
3. اسحق، إيليا منسي، تجسيد الأبن الوحيد بين تعليم القديس كيرس الكبير وهرطقة نسطور، ط1، القاهرة، (بريما جرافيك، 2004م).
4. حوما، اسعد، الكنيسة السريانية الشرقية تحت حكم العرب المسلمين، المقال الثالث، www.ishtartv.com
5. ديورانت، ول وايرل، قصة الحضارة، تر: محمد بدران، د.ط، بيروت، (د.مطر، د،ت).
6. راهب من الكنيسة القبطية، الكنائس الشرقية وأوطانها، ط1، د.م، (مكتب المثار، 2000م).
7. زيدان، يوسف، اللاهوت العربي واصول العنف الديني، د.ط، د.م، (دار الشرق، 2015م).
8. سوريال، عزيز، تاريخ المسيحية الشرقية، تر: اسحق عبيد، ط1، د.م، (د. مطر، 2005م).
9. الشايع، عبدالوهاب، تاريخ النصرانية مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ، د.ط، د.م، _د.مط، 2015م).
10. الطيار، أحمد عبدالله محمد، النسطورية قديماً وحديثاً (دراسة مقارنة)، د.ط، د.م، (د.مط، د.ت).

11. عبدالله، بوسلام، الحضارة الغائية تاريخ النصرانية في مصر، ط1، القاهرة، (مركز التنوير الإسلامي، 2004م).

12. عبدالله، ماهر يونان، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، د.ط، د.م، (المركز المصري للمطبوعات، د.ت).

13. العقاري، اثناسيوس، قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، ط1، د.م، (مطبعة النوبار، 2013م).

14. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، بيروت، (مكتبة النهضة، 1968).

15. قاشا، سهيل، صفحات من تاريخ العرب المسيحيين قبل الإسلام، د.ط، د.م، (منشورات المكتبة البولسية، 2005م).

16. القس، صباح إيليا، شعر شعراء المسيحية في العصر الجاهلي، ط1، د.م، (د.مط، 2017م).

17. القمص، منس، تاريخ الكنيسة القبطية، ط1، د.م، (مطبعة اليقظة، 1994م).

18. كمبي، جان، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ط1، بيروت، (دار المشرق، 1992).

19. لوريمر، جون، تاريخ الكنيسة عصر الآباء من القرن الأول وحتى القرن السادس، ط1، القاهرة، (دار الثقافة، 2013م،).

20. متي، 19/28.

21. مجموعة مؤلفين، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، د.ط، د.م، (د.مط، د.ت).

22. الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.ط، بيروت، (دار الكتب العلمية، 2008م).

23. مؤلون، تاريخ المسيحية والكنيسة من اقصى العالم إلى أقصاه، تر: يعقوب شحاته، د.ط، القاهرة، (الفرنسيسكات، 2017م).

24. نافع، محمد مبروك، عصر ما قبل الإسلام، د.ط، د.م، (د.مط، 2017م).

25. نصر، أمير، بدع وهرطقات الخمس قرون الأولى للمسيحية، د.ط، د.م، (مركز البابا ديوسقورس للدراسات اللاهوتية، د.ت).

26. يوحنا، 10:30.

([1]) زيدان، يوسف، اللاهوت العربي واصول العنف الديني، د.ط، د.م، (دار الشرق، 2015م)، ص131.

([2]) ديورانت، ول وايرل، قصة الحضارة، تر: محمد بدران، د.ط، بيروت، (د.مطر، د،ت)، مج3، ص100.

([3]) راهب من الكنيسة القبطية، الكنائس الشرقية وأوطانها، ط1، د.م، (مكتب المثار، 2000م)، ج3، ص42.

([4]) عبدالله، بوسلام، الحضارة الغائبة تاريخ النصرانية في مصر، ط1، القاهرة، (مركز التنوير الإسلامي، 2004م)، ص16.

([5]) سوريال، عزيز، تاريخ المسيحية الشرقية، تر: اسحق عبيد، ط1، د.م، (د. مطر، 2005م)، ص238.

([1]) عبدالله، ماهر يونان، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، د.ط، د.م، (المركز المصري للمطبوعات، د.ت)، ص38؛ اسحق، إيليا منسي، تجسيد الأبن الوحيد بين تعليم القديس كيرس الكبير وهرطقة نسطور، ط1، القاهرة، (بريما جرافيك، 2004م)، ص77.

([2]) الطيار، أحمد عبدالله محمد، النسطورية قديماً وحديثاً (دراسة مقارنة)، د.ط، د.م، (د.مط، د.ت)، ص27.

([3]) نصر، أمير، بدع وهرطقات الخمس قرون الأولى للمسيحية، د.ط، د.م، (مركز البابا ديوسقورس للدراسات اللاهوتية، د.ت)، ص1.

([1]) القمص، منس، تاريخ الكنيسة القبطية، ط1، د.م، (مطبعة اليقظة، 1994م)، ص338، استغانس، الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة، د.ط، د.م، (مطبعة القبر المقدس البطريركية، 1867م)، ص123.

([2]) لوريمر، جون، تاريخ الكنيسة عصر الآباء من القرن الأول وحتى القرن السادس، ط1، القاهرة، (دار الثقافة، 2013م)، ص197.

([3]) يوحنا، 10:30.

([1]) نصر، امير، بدع وهرطقات، ص1.

([2]) القمص، منسي، تاريخ الكنيسة القبطية، ط1، د.م، (مطبعة اليقظة، 1924م)، ص282.

([3]) الشايع، عبدالوهاب، تاريخ النصرانية مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ، د.ط، د.م، _د.مط، 2015م).

([4]) العقاري، اثناسيوس، قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، ط1، د.م، (مطبعة النوبار، 2013م)، ص106.

([1]) كمبي، جان، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ط1، بيروت، (دار المشرق، 1992)، ص126.

([2]) الشايع، عبدالوهاب، تاريخ النصرانية، ص218.

([3]) مجموعة مؤلفين، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، د.ط، د.م، (د.مط، د.ت)، ص203.

([4]) إبن القيم، شمس الدين محمد ابي بكر (ت751هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تح: أحمد حجازي السقا، ط1، القاهرة، (المكتبة القيمية، 1398م)، ص267، القمص، منسي، تاريخ الكنيسة القبطية، ص338.

([1]) الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.ط، بيروت، (دار الكتب العلمية، 2008م)، ص411.

([2]) متي، 19/28.

([1]) القس، صباح إيليا، شعر شعراء المسيحية في العصر الجاهلي، ط1، د.م، (د.مط، 2017م)، ص30.

([2]) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، بيروت، (مكتبة النهضة، 1968)، ج6، ص486.

([3]) القس، صباح، شعر شعراء المسيحية، ص30.

([4]) د. مؤلف، تاريخ المسيحية والكنيسة من اقصى العالم إلى أقصاه، تر: يعقوب شحاته، د.ط، القاهرة، (الفرنسيسكات، 2017م)، ج1، ص121-122.

([5]) حوما، اسعد، الكنيسة السريانية الشرقية تحت حكم العرب المسلمين، المقال الثالث، www.ishtartv.com

([1]) قاشا، سهيل، صفحات من تاريخ العرب المسيحيين قبل الإسلام، د.ط، د.م، (منشورات المكتبة البولسية، 2005م)، ص30.

([2]) قاشا، سهيل، صفحات من تاريخ العرب، ص31.

([3]) نافع، محمد مبروك، عصر ما قبل الإسلام، د.ط، د.م، (د.مط، 2017م)، ص177.